الجملة الاعتراضية في العربية بين الموقع والدلالة الوظيفية

د. عبدالخالق ولي فتاح
مدرس مساعد
جامعة كويه / كلية العلوم الإنسانية والتربية

الملخص

تتنوع الجمل في اللغة العربية بحسب الوظائف الدلالية المتعددة التي تؤديها في التراكيب اللغوية التي تنتظم فيها ، ومن أنواعها (الجملة الاعتراضية) وهي الجملة التي تؤدي في الغالب وظيفة التوكيد الى جانب وظائف أخرى منها التوضيح و التحسين، وشاع بين الدارسين أنها ينبغي أن تتوسط بين الجزئين المتلازمين أو المتصلين من حيث المعنى .

ويهتم هذا البحث بمناقشة هذا الرأي الشائع في فهم الجملة الاعتراضية ليبين وجوه النقص و الضعف التي نراها فيه، معتمدا في ذلك على إبراز بعض الآراء المتناثرة في كتب القدماء التي لم تلق ما تستحق من عناية واهتمام ، ومعتمدا أيضا على الأمثلة والنصوص اللغوية المتنوعة التي تثبت أن الجملة الاعتراضية قد ترد في غير هذا الموقع المحدد الذي قيدت به ، ليصل من ذلك الى وضع تعريف جديد للجملة الاعتراضية يراعي مختلف سياقاته الاستعمالية .

المقدمة

تعد الجملة الركيزة الأساسية التي يقوم عليها الكلام العربي ، ولذلك فهي تحتل مكانة بارزة في الدراسات اللغوية الحديثة التي تهتم بدراسة بنية العربية وما ينتظم فيها من وحدات لغوية متنوعة الدلالة ، إذ تتخذها هذه الدراسات محورا أساسيا تقيم عليه تحليلاتها اللغوية المتنوعة .

والجملة في اللغة العربية تؤدي وظائف دلالية متعددة في التراكيب اللغوية التي تنتظم فيها ، سواء أوقعت في المواضع الخاصة باللفظ المفرد وأدت وظائفه النحوية المعروفة مثل الفاعلية والمفعولية والحالية وغيرها أي عندما يكون لها محل من الإعراب ، أم وقعت في غير هذه المواضع المحددة وأفادت الكلام بعض المعاني الدلالية التي لايؤديها اللفظ المفرد كأن تكون صلة لموصول أو واقعة في جواب القسم وغيرها من المواضع التي توصف فيها بأنها لامحل لها من الإعراب .

ويهتم هذا البحث بدراسة إحدى هذه الجمل الموصوفة بأنها لامحل لها من الإعراب وهي الجملة الاعتراضية التي تؤدي في الغالب وظيفة التوكيد أو التوضيح في التركيب اللغوي الذي تنتظم فيه . وهي الجملة التي شاع بين الدارسين القدامى والمحدثين أنها ينبغي أن تقع في موضع محدد من الكلام ،وذلك بأن تتوسط بين الجزئين المتلازمين أو المتصلين من حيث المعنى . ويركز هذا البحث في معالجته للجملة الاعتراضية على مناقشة هذا الرأي الشائع المغلوط في فهم هذه الجملة الذي لايصدق على كل حالاتها واستعمالاتها السياقية المتنوعة ، معتمدا في تخطئة هذا الرأي وإبرازجوانب النقص و الضعف فيه على بعض الآراء الفردية المتفرقة التي قال بها بعض الدارسين القدامى ولم تلق حظها من العناية والاهتمام فأهملت ولم تشع، ومعتمدا في ذلك أيضا على الأمثلة والنصوص التي تعكس الجانب الاستعمالي الفعلي للغة والذي ينبغي أن يكون المعول الأساس عليه في استخلاص القواعد والأحكام النحوية الخاصة بمفردات اللغة وتراكيبها .

يقول ابن هشام الأنصارى(٧٦١ هـ) عن الجملة الاعتراضية إنها : ((المعترضة بين شيئين لإفادة الكلام تقوية وتسديدا أو تحسينا))١. ويوضح الدسوقي (١٢٣٠هـ) دلالة الألفاظ الواردة في هذا التعريف لزيادة بيانه ، فيذكر أن (تقوية) يقصد به التوكيد ، وأن (تسديدا) مرادف له في المعنى ، وأن قول ابن هشام : (أو تحسينا) يعني به أن الاعتراض قد يكون لمجرد تزيين اللفظ فلايفيد توكيدا٢ ويرى ابن جني (٣٩٣ هـ) أن الاعتراض كثير في كلام العرب ، وأنه جار عندهم مجرى التأكيد ولذلك ((لايستنكر عندهم أن يعترض به بين الفعل وفاعله والمبتدأ وخبره مما لايجوز الفصل فيه بغيره إلا شاذا أومتأولا))[٣].

ويعرف الدكتور فخرالدين قباوة هذه الجملة بأنها : ((الجملة التي تعترض بين شيئين متلازمين أو متطالبين ، لتوكيد الكلام أو توضيحه أو تحسينه ، وتكون ذات علاقة معنوية بالكلام الذي اعترضت بين جزأيه،وليست معمولة لشيء منه))[٤] .

ثم يمثل الدكتور قباوة للاعتراض الذي يفيد التوكيد بـ (لعمري) من قول عمرو بن شأس[٥]:

أردت عرارا بالهوان ومن يرد عرارا لعمري بالهوان فقد ظلم

ويمثل للاعتراض الذي يفيد التوضيح بـ (قصر العاجز الكمد) بقول أحد شعراء الخوارج[٦]:

فإن أمت حتف أنفي لاأمت كمدا على الطعان وقصر العاجز الكمد
ولم أقل : لم أساق الموت شاربه في كأسه والمنايا شرع ورد

وأما التحسين فإنه يراه في (لاأبالك) من قول زهير بن ابي سلمى [٧] :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لاأبالك يسأم

وهذه الأقوال والتعريفات السابقة التي ذكرها هؤلاء الدارسون من القدامى والمحدثين تدل بوضوح على أن الغرض الرئيس الذي تؤديه جملة الاعتراض يتعلق أساسا بالكلام الذي ترد في أثنائه سواء كانت تؤكده أو توضحه أو تحسنه ، أي أنها ليست مقصودة لذاتها وليست هي محور الاهتمام والتركيز عند المتكلم ، ولكن بعض الدارسين المحدثين يفاجئنا بقوله : ((والغرض من إيقاع هذه الجملة بين الشيئين المتلازمين إبرازها ووضعها موضع العناية والاهتمام))[٨]، فهذا القول يفهم منه أن الجملة الاعتراضية هي الغرض الأساسي عند المتكلم ولذلك فهو يحرص على أن يضعها بين الشيئين المتلازمين لكي يبرزها ويجعلها موضع العناية والاهتمام ، وهذا يتنافى مع الغرض الأساسي من الإتيان بهذه الجملة والمتمثل في توكيد الكلام أو توضيحه ، وهو غرض يشير بداهة إلى أن مضمون هذا الكلام وفحواه هو المراد لفت الانتباه إليه والاهتمام به وهذا ماتقوم به الجملة الاعتراضية ، شأنها في ذلك شأن الأدوات المتنوعة التي تؤدي معنى التوكيد التي لاأحسب أن أحدا يمكن أن يشكك في أن مضمون الكلام الذي يقترن به هو محط عناية المتكلم واهتمامه في المقام الأول .

ويذكرلنا ابن هشام المواضع العديدة التي ترد فيها الجملة الاعتراضية ، ومنها[٩]: بين الفعل ومرفوعه ، كقول جويرية بن خالد[١٠] :

وقد أدركتني – والحوادث جمة – أسنة قوم لاضعاف ولاعزل

وبين المبتدأ وخبره ، كقول معن بن أوس[١١] :

وفيهن – والأيام يعثرن بالفتى – نوادب لايمللنه ونوائح

وبين القسم وجوابه ، كقول النابغة الذبياني[١٢]:

لعمري – وما عمرى علي بهين – لقد نطقت بطلا علي الأقارع

وغير ذلك من المواضع الكثيرة والمتنوعة التي تدل على أن الاستعمال الشائع لجملة الاعتراض أن ترد بين الشيئين المتلازمين اللذين يتممان معا الكلام أو بين الكلامين المتصلين من حيث المعنى . وهذا مايجري عليه معظم الدارسين من القدامى والمحدثين في تعريفهم لهذه الجملة ، ويكشف عن السبب في تسميتها بهذا الاسم .

غير أن رضي الدين الاستراباذي (٦٨٦ هـ)له رأي متميز في الجملة الاعتراضية يختلف به عن آراء الدارسين الآخرين وهو رأي جدير بالعناية والاهتمام، فهو يرى أن الجملة الاعتراضية يمكن أن ترد في آخر الكلام ودون أن تتوسط بين شيئين متلازمين ، يقول في ذلك : ((ونعني بالجملة الاعتراضية ما يتوسط بين أجزاء الكلام ، متعلقا به معنى مستأنفا لفظا على طريق الالتفاف ، ... وقد تجيء بعد تمام الكلام))[١٣] .

ويمثل لذلك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (أنا سيد ولد آدم ولافخر). وبقوله صلى الله عليه وسلم : (اطلبوا العلم ولو بالصين)[١٤] .

فهو يرى أن الواو مع الشرط الداخلة عليه تمثل جملة اعتراضية [١٥]. ويذكر أن جملة مثل : (زيد بخيل) يمكن أن يعترض بقولنا (وإن كان غنيا) بين حزأيها فنقول: زيد وإن كان غنيا بخيل ، ويمكن أيضا أن نأتي به في آخر الكلام ، فنقول : زيد بخيل وإن كان غنيا[١٦] .

ويرى الرضى أن جواب الشرط في مثل هذه الصورة التعبيرية هو مدلول الكلام، أي إن كان غنيا فهو بخيل ، فكيف إذا افتقر ؟ فالجملة المذكورة كالعوض من الجواب المقدر[١٧].

ويبدو أن عددا من الدارسين القدامى لهم آراء تختلف عن رأي الرضي في هذه الصورة التعبيرية ،إذ يذكر لنا الرضي أن الجنزي يرى أن الواو هنا هي (واو العطف) ، والمعطوف عليه محذوف ، وتقديره ضد الشرط المذكور في الكلام ، أي: زيد إن لم يكن غنيا وإن كان غنيا فهو بخيل[١٨] .

ويعلق الرضي على هذا الرأي بأنه يجوز حذف المعطوف عليه عند وجود القرينة، ولكن يلزم الجنزي على هذا القول أن يأتي بالفاء ، فيقول : زيد وإن كان غنيا فبخيل ، وذلك لأن الشرط لايلغى بين المبتدأ والخبر اختيارا [١٩].

ويذكر لنا الرضي أيضا أن الزمخشري (٥٣٨ هـ) يرى أن الواو في مثل هذه الصورة التعبيرية هي للحال ، فيكون مابعدها في محل نصب على الحالية ، وعامله هو الجملة المذكورة في الكلام ، كما عمل جواب (متى) عند بعضهم النصب في (متى) على أنه ظرفه ، ومعنى الحال والظرف متقاربان [٢٠]

ويبدو أن رأي الزمخشري يلقى قبولا عند الرضي أو ليس له اعتراض عليه ، بل إنه يتصدى للرد على من قد يعترض عليه على الرغم من ذهابه إلى أن الواو هنا اعتراضية [٢١]، فهو يعلق على هذا الرأي بقوله : ((ولايصح اعتراض الجنزي عليه بأن معنى الاستقبال الذي في إن يناقض معنى الحال الذي في الواو ، لأن حالية الحال باعتبار عامله مستقبلا كان العامل أو ماضيا ، نحو : اضربه غدا مجردا و ضربت أمس مجردا ، واستقبالية (إن) باعتبار زمان التكلم ، فلا تناقض بينهما))[٢٢].

ومما هو جدير بالذكر هنا أن الزمخشري أيضا يرى أن الجملة الاعتراضية يمكن ان ترد في آخر الكلام أو دون أن تقع بين جزأين متلازمين ، إذ يرى أن جملة (ونحن له مسلمون) من قوله تعالى : (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون)[٢٣]، يجوز أن تكون حالا من فاعل (نعبد) او من مفعوله لرجوع الهاء إليه في (له) ، ويجوز أيضا أن تكون

جملة معطوفة على (نعبد) ، و ((أن تكون جملة اعتراضية مؤكدة ، أي ومن حالنا أنا له مسلمون مخلصون التوحيد أو مذعنون))[٢٤] .

ويرى أيضا أن ((والذين من بعدهم لايعلمهم الاّ الله) من قوله تعالى : (ألم ياتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لايعلمهم إلاّ الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالو إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب)[٢٥] ، يمكن ان تكون جملة من مبتدأ وخبر ، وقعت اعتراضا ، أو يكون (الذين من بعدهم) معطوف على (قوم نوح) ، وجملة (لايعلمهم إلا الله) هي الاعتراضية ، والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لايعلم عددهم إلا الله[٢٦] .

ويبدو أن هناك دارسين آخرين غير الزمخشري يجيزون وقوع الجملة الاعتراضية في آخر الكلام ، إذ أجازوا في (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) من قوله تعالى : (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى)[٢٧] ، أن تكون معترضة ، مع أنها واقعة في آخر الكلام [٢٨].

وقد أنكر أبو حيان النحوي(٧٤٥ هـ) على الزمخشري رأيه في هذه المسألة ، فعلق على ماذكره عن جملة (ونحن له مسلمون) بقوله : ((وأجاز الزمخشري أن تكون جملة اعتراضية مؤكدة ... ، والذي ذكره النحويون أن جملة الاعتراض هي الجملة التي تفيد تقوية بين جزأي موصول أو صلة ... ، أو بين جزأي إسناد ... ، أو بين فعل الشرط وجزائه ، أو بين قسم وجوابه ، أو بين منعوت ونعته ، أو بين ما أشبه ذلك مما بينهما تلازم ما ، وهذه الجملة التي هي قوله (ونحن له مسلمون) ليست من هذا الباب ، لأن قبلها كلاما مستقلا وبعدها كلام مستقل)[٢٩] .

وأعاد مضمون هذا الكلام نفسه في تعليقه على ماذكره الزمخشري عن الآية الأخرى[٣٠] .

وقد أشار ابن هشام إلى رأي الزمخشري في أثناء تنبيهه على أن للبيانيين في الاعتراض اصطلاحات مخالفة لاصطلاح النحويين ، وأن الزمخشري يستعمل بعضها ، كقوله في جملة (ونحن له مسلمون) الواردة في سورة البقرة إنها يجوز أن تكون اعتراضية مؤكدة[٣١].

ويضيف ابن هشام أيضا أن من لايعرف علم البيان كأبي حيان النحوي قد يرد على الزمخشري مقالته ، ((توهما منه انه لا اعتراض إلا مايقوله النحوي ، وهو الاعتراض بين شيئين متطالبين))[٣٢] .

وقد وضح الدسوقي اصطلاحات البيانيين التي أشار إليها ابن هشام في كلامه السابق بأنها ثلاثة اصطلاحات ، لأن البيانيين يقدمون للجملة الاعتراضية ثلاثة تعريفات يذكرها الدسوقي في قوله : ((فعرفه بعض بأنه الإتيان في أثناء الكلام أو في آخره أو بين كلامين متصلين معنى ، بجملة فأكثر لامحل لها من الإعراب

، لنكتة أعم من أن تكون لدفع الإلباس أو غيره . وهذا الذي مشى عليه الزمخشري. والاصطلاح الثاني خص النكتة بغير دفع الإلباس . والاصطلاح الثالث أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو غيرها لنكتة ما))[٣٣]

ويذكر الدكتور فخرالدين قباوة – وهو من أوائل الدارسين المحدثين الذين اهتموا بدراسة الجملة وإعرابها وذلك في كتابه (إعراب الجمل وأشباه الجمل) – أن البيانيين ربما استعملوا مصطلح (الاعتراض) في غير مايريده به النحويون [٣٤]، ويرى أن الزمخشري في تعليقه على جملة (ونحن له مسلمون) بأنها يجوز أن تكون جملة اعتراضية مؤكدة ، قد ذكر الاعتراض وهو يريد الاستئناف[٣٥].

ويرى الدكتور قباوة أيضا أن الخلط بين الاعتراض و الاستئناف ليس مقصورا على علماء البيان ، إذ كان للنحاة نصيب فيه ، مستدلا على ذلك بما ذهب إليه الرضي في إعراب (ولو بالصين) من أنها اعتراضية ، في حين أن الصواب في رأيه ((أن الجملة استئنافية ، ولايجوز مثل هذا الخلط في الإعراب))[٣٦].

وفي ظني أن الرأي القائل بأن جملة الاعتراض يمكن أن ترد في آخر الكلام أو دون أن تتوسط بين جزأين متلازمين أو بين كلامين متصلين من حيث المعنى هو رأي جديد بأن يلتفت إليه وتناقش جوانبه المتعددة على نحو مفصل وفقا لأسس منهجية علمية سلمية تعتمد استقراء الأدلة والنصوص بموضوعية وتجرد لكي تتمكن من الوصول إلى رؤية واضحة وموقف محدد تجاه هذا الرأي سواء برفضه أو بقبوله.

وأول مانحرص على أن نعرض إليه في هذه المناقشة المفصلة قول الرضي عن الجملة الاعتراضية التي من نحو (وإن كان غنيا) إنها شرطية من حيث المعنى ، وإن جواب الشرط في الصورة التعبيرية التي من نحو : زيد بخيل وإن كان غنيا .. هو مدلول الكلام ، أي إن كان غنيا فهو بخيل فكيف إذا افتقر ؟ فقول الرضي هنا يبدو لنا غير سليم تماما ، لأننا نظن أن جملة (وإن كان غنيا) لاتدل على معنى الشرط على الرغم من تركيبها اللفظي المماثل للتركيب الشرطي ، لأن المعنى الأساسي الذي تؤديه في الصورة التعبيرية المذكورة هو التوكيد ، وهذا التوكيد متحقق في أسلوب بليغ يختلف عن أساليب التوكيد المألوفة التي تكون بالأدوات أو بالقسم ونحوها ، إذ جمع فيه بين المعنى المراد إثباته وتوكيده وبين ما من شانه أن يكون نقيضا لهذا المعنى أو مانعا لوجودما يمكن أن يسوغ به حصول ذلك المعنى ، والغرض من هذا الجمع المبالغة في الإخبار عن تحقق المعنى المذكور على الرغم من وجود مالايدعو الى حصوله بل قد يدعو إلى

نقيضه ، والمعنى المذكور إذا أثبت بهذا الأسلوب ففيه من التوكيد والمبالغة ماقد لايتحقق مع أسلوب آخر ، فاتصاف زيد بالبخل على الرغم من غناه يعني نفي الأسباب القاهرة التي يمكن أن تسوغ هذا البخل، ويعني أيضا أن هذه الصفة الذميمة متأصلة في زيد ومتمكنة منه إلى حد بعيد وأنهــــــا ملازمة له في كل أحواله .

وتأدية مثل هذا المعنى المؤكد يقتضي أن لاتحمل جملة (وإن كان غنيا) على الشرط ، لأن الشرط معناه يحتمل الحدوث ويحتمل عدم الحدوث ، فيكون في مثل هذه الحالة أمرا افتراضيا غير ثابت الحصول ، في حين أن المراد إثبات الغنى لزيد حقيقة لكي يعبر وصفه بالبخل مع غناه عن أنه قد بلغ الغاية في البخل وأنه غير معذور فيه .

وإثبات المعنى الشرطي لهذه الجملة وملاحظة جوابها المقدر على ذلك النحو الذي ذكره الرضي من شأنه أن يفقد هذه الصورة التعبيرية هذا المعنى التوكيدي الذي ترتكز عليه ويبعدها عن غرضها الرئيس الذي ركبت لأجله على هذا النحو ، وهو إثبات المعنى المذكور وتأكيده والمبالغة فيه بجعله متحققا مع وجود مايدعو إلى عدم تحققه .

فهذه الجملة ومايماثلها هي شرطية من حيث اللفظ والتركيب فقط ، أما معناها فلاصلة له بالشرط وهو يؤدي وظيفة التوكيد ، ونظن أن اقتران (الواو) بهذا التركيب يفقده معنى الشرط ويجعله قريبا في الدلالة والأداء من التعبير الشائع : (على الرغم من ..) الذي يستعمل عادة عندما يراد توكيد الكلام .

وهذا المعنى التوكيدي نجده واضحا تماما في ذلك التركيب الشرطي اللفظ والهيأة المتمثل في (ولو بالصين) ، الوارد في الحديث النبوي الشريف (اطلبوا العلم ولو بالصين) ، إذ لايراد بهذا التركيب إلا توكيد تحقيق الطلب السابق عليه بالحث عليه والسعي إليه أينما كان ، لأن الحرص على طلبه حتى وهو في المكان البعيد القصي يعني التأكيد على مثل هذا الطلب وزيادة الاهتمام به عندما يكون متيسرا ويسهل الحصول عليه .

وقد أشار بعض الدارسين القدامى إلى أن أداة الشرط في مثل هذه الحالات أصبحت وصلية ، وأنها غير مستعملة بالمعنى الحقيقي للشرط[٣٧]

وأما رأي الجنزي في أن الواو المذكورة مع هذه الجملة هي واو العطف ، وأن المعطوف عليه محذوف وتقديره : زيد إن لم يكن غنيا وإن كان غنيا فهو بخيل ، فإن هذه الصورة الافتراضية التي يزعمها أصلا لهذا التعبير تضعف من قوة معناه التوكيدي والمبالغة فيه ، لأن هذه الصورة الافتراضية بنصها على ذكر الأحوال المتضادة التي يكون زيد معها بخيلا قد جعلت الجملة الشرطية التي هي محل بحثنا شرطية لفظا ومعنى وأصبح الكلام معها يغلب عليه طابع الافتراض

من حيث احتمال حصول معناه وعدمه ، وهو أقرب إلى الإخبار منه إلى أن يكون توكيدا ومبالغة ، وقد بينا آنفا أن تضمين هذه الجملة معنى الشرط يفقد الصورة التعبيرية التي هي جزء منها معناها الدال على المبالغة والتوكيد ، فضلا عن أن مثل هذا الافتراض المتكلف فيه حمل للكلام على غير الظاهر واللجوء معه إلى التقدير ، والكلام كلما أمكن حمله على الظاهر كان أنسب وأسلم من اللجوء فيه إلى التقدير والافتراض كما هو مقرر عند علماء العربية القدامى أنفسهم[٣٨] .

أما القول بأن الواو هنا حالية والجملة بعدها في محل نصب على الحال ، فيشير إلى ذلك التداخل الحاصل بين جملتي الاعتراض والحال عند الدارسين القدامى[٣٩] ، الذي حملهم على أن يحددوا الفروق الشكلية التي يمكن أن تميز بينهما ، المتمثلة في :

١. جواز وقوع الجملة الاعتراضية طلبية وامتناع الحالية من ذلك .
٢. جواز تصدير الجملة الاعتراضية بدليل استقبال على خلاف الحالية .
٣. جواز اقتران الجملة الاعتراضية بالفاء وامتناع ذلك في الحالية .
٤. جواز اقتران الاعتراضية بالواو عند تصديرها بالمضارع وامتناع ذلك في الحالية[٤٠] .

وفي ظني أن تحديد الوظيفة الأساسية التي تؤديها الجملة في التركيب اللغوي الذي تنتظم فيه قد يكون عاملا أساسيا يمكن الاعتماد عليه في التمييز بين هاتين الجملتين إلى جانب الفروق الشكلية السابقة ، وذلك لأن الوظيفة الأساسية التي تؤديها الجملة الحالية في الكلام هي بيان الهيئة والحالة ، وهذه الوظيفة تختلف عن الوظيفة الأساسية للجملة الاعتراضية المتصلة في الغالب بالتوكيد ، وقد يصبح هذا العامل الوظيفي حاسما في بعض الحالات ولاسيما عندما تكون الفروق الشكلية السابقة غير قادرة على تحقيق ذلك ، كما هو حاصل في الجملة التي هي محل بحثنا ، فهي على الرغم من تصدرها بدليل استقبال متمثل في (إن) وهذا كاف لجعلها اعتراضية وليست حالية ، إلا أننا نلاحظ أن الدارسين القدامى لم تتفق كلمتهم على منع اقتران هذه الأداة بالجملة الحالية ، إذ أجاز بعضهم دخولها عليها[٤١]، ومن ثم احتملت جملة (وإن كان غنيا) عندهم أن تكون حالية .

أما إذا اعتمدنا على معيار الوظيفة الأساسية للجملة في التركيب اللغوي الذي ترد فيه فسنجد أن الغرض الرئيس من جملة (وإن كان غنيا) – والذي نعتمد في تحديده على المعنى الكلي للتركيب اللغوي الذي هي جزء منه – ليس بيان الهيئة الذي هو الوظيفة الأساسية لجملة الحال[٤٢]، لأن وصف زيد بالبخل في هذه الحالة سيكون مقيدا في حال كونه غنيا ، ولايفيد هذا شمولا أو توكيدا ، في حين أن

المراد هو التأكيد على وصف زيد بالبخل في كل أحواله ومنها حالة غناه التي تخص بالذكر هنا لدفع توهم أن هذه الصفة عارضة له أو يمكن أن تزول عنه .

وربما يتضح هذا الفرق الدقيق بين معنى الحال والاعتراض على نحو جلي لوقلنا مثلا:اطلب العلم وإن كان في الصين،فلو جعلت جملة(وإن كان في الصين)حالية لكان التقدير:اطلب العلم في حال كونه موجودا في الصين،ومن الواضح أن هذا التقدير لايناسب المعنى المراد من التركيب الذي هو التوكيد على طلب العلم في كل مكان قريبا كان أو قصيا ، وإنما خص المكان البعيد بالذكر للدلالة على تأكيد هذا الطلب . لذلك فالغرض الرئيس من هذه الجملة أن تدل على التوكيد الذي هو وظيفة الجملة الاعتراضية ، ومن ثم فالجملة هنا اعتراضية وليست حالية . ولذلك فإننا نظن أنه ربما من المناسب أن تعد الجمل المقترنة بـ(ولو) الواردة في الايات القرانية الاتية : [أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة][٤٣] ،و[ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون][٤٤]، و[يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون][٤٥] ، و [وما أنت بمؤمن ولو كنا صادقين][٤٦] ، جملا اعتراضية وليست حالية كما هو الشائع في إعراب معظمها[٤٧]، ليتسق معناها بذلك مع معنى التوكيد الذي تدل عليه هذه السياقات وما يماثلها . ونظن أن هذا المعيار الوظيفي المتصل بالمعنى العام للسياق التركيبي الذي ترد فيه الجملة يمكن اعتماده في سائر الأمثلة التي يمكن أن يتردد الحكم فيها على الجملة بأنها حالية أو اعتراضية .

ونعود بعد ذلك إلى متابعة المسألة الأساسية التي كنا بصدد معالجتها قبل أن نسترسل في مناقشة تلك الآراء المتفرعة عنها ، وهي جواز مجيء جملة الاعتراض في آخر الكلام أو دون أن تتوسط بين جزأين متلازمين .

والحق أن اتخاذ الموقف السليم من هذه المسألة ينبغي أن يكون قائما على استقراء الأمثلة المختلفة والنصوص المتنوعة التي قد ترد فيها الجملة التي تؤدي وظيفة الاعتراض ، فإذا كان فيها ماقد وقع الاعتراض معها في آخر الكلام فلا حاجة لتأويل ذلك وافتراض التقديرات المتكلفة التي تبعد الجملة عن وظيفتها الأصلية وتغير معنى التركيب اللغوي الذي تنتظم فيه ، لالشيء إلا لمجرد التمسك بالرأي القائل أن جملة الاعتراض يجب أن تقع بين جزأين متلازمين أو بين كلامين متصلين من حيث المعنى ، وهو رأي قد يكون صادقا على معظم الحالات التي تستعمل فيها جملة الاعتراض ولكنه لايتسع ليشمل حالاتها الأخرى التي ترد فيها في غير هذه المواقع ، وهي حالات ربما تكون قليلة وأمثلتها نادرة ولكن ورودها في الاستعمال اللغوي الفعلي يملي علينا ألانغفلها وألانحاول إخراجها من مجال الاعتراض لمجرد المحافظة على الرأي السابق الذي هو في نهاية الأمر قائم على أساس مراعاة الجانب الشكلي فقط ، ويغفل دور المعنى و الوظيفة التي

يمكن أن تحققها الجملة دون أن تتقيد بهذا الجانب الشكلي الذي يفرض عليها مواقع محددة لأداء هذه الوظيفة .

ووجود مثل هذه النصوص أو الاستعمالات اللغوية يملي علينا أن نعيد النظر في هذا الرأي لتعديله على نحو يجعله يتسع لها ، وأيضا لكي يستند من ثم إلى أساس سليم من الاستقراء الشامل لكل الحالات والصور التي ترد فيها الجملة الاعتراضية .

والقائلون بجواز مجيء جملة الاعتراض في آخر الكلام اعتمدوا في مقالتهم على نصوص لغوية مستعملة في واقع اللغة وردت فيها هذه الجملة في مثل هذا الموقع - ويمكن أن نضيف إليها أيضا النصوص القرانية السابقة التي نظن أن الجمل الواردة فيها هي اعتراضية وليست حالية[٤٨] - ، وليس الأمر عندهم قائما على مجرد اصطلاح خاص بهم خالفوا به المفهوم الشائع عن الجملة الاعتراضية – كما قد يوحي بذلك تعبير ابن هشام والدكتور فخرالدين قباوة عن رأي هؤلاء الدارسين بأنه مسألة اصطلاحية– ، وقد كان هؤلاء الدارسون على صواب تماما عندما لم يتقيدوا بذلك الضابط الشكلي القاضي بأن جملة الاعتراض يجب أن تقع بين شيئين متلازمين أو متصلين معنى ، فاعتمدوا في حكمهم عليها أساسا على المعنى والدور الوظيفي الذي تؤديه في التركيب ، والذي يدل بوضوح على أنها جملة اعتراضية ، فمثلا جملة (ولو بالصين) الواردة في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (اطلبوا العلم ولو بالصين) ، لايمكن لها بحسب المعنى المراد من هذا التركيب اللغوي – وكما وضحنا سابقا – إلا أن تكون مؤدية لوظيفة التوكيد التي هي أبرز وظائف الجملة الاعتراضية ، فلا جدوى من إغفالها أو محاولة إخضاعها للتقديرات الافتراضية المتكلفة لتأويلها على نحو يخرجها عن إطار الجملة الاعتراضية دون مبالاة بالتغيير الذي يحدثه مثل هذا التأويل في معنى التركيب اللغوي ، وإبعاده عن الغرض الذي وضع له .

ونظن أن المعيار الأساسي الذي ينبغي الاعتماد عليه في تحديد الإعراب المناسب للجملة هو المعنى أو الوظيفة التي تؤديها في التركيب اللغوي الذي تنتظم فيه ، ووظيفة الجملة الاعتراضية في رأينا لاتتغير سواء وقعت هذه الجملة بين شيئين متلازمين أو جاءت في آخر الكلام ، ومن ثم فلا داعي لتقييدها في أدائها لهذه الوظيفة بموضع محدد وإن غلب على استعمالها ورودها فيه ، لاسيما وأن بعض التراكيب اللغوية قد لايكون ملائما معها أصلا ورود هذه الجملة في مثل هذا الموضع، وهذا واضح تماما في التراكيب اللغوية التي من نحو (اطلبوا العلم ولو بالصين) ، الذي إذا حاولنا أن نغير موضع الجملة الاعتراضية فيه لنضعه بين الجزئين المتلازمين – وهو الموضع الذي يغلب على الجملة الاعتراضية

استعمالها فيه – لأصبح التركيب على هذا النحو : اطلبوا ولو بالصين العلم ، وواضح مافي ذلك من ضعف وركاكة .

ونحن نختلف تماما مع الدكتور فخرالدين قباوة في جعله الجملة الاعتراضية (ولو بالصين) الواردة في الحديث النبوي الشريف جملة استئنافية ، لأن الجملة الاستئنافية كما يذكر الدارسون ومنهم الدكتور قباوة نفسه هي التي يستأنف بها كلام جديد ولابد أن تكون مسبوقة بكلام تام[٤٩] ، وجملة (ولو بالصين) لايراد بها استئناف كلام جديد وهي غير مسبوقة بكلام تام ، لأن الكلام الذي قبلها لايتم معناه إلا بجعلها جزءا منه ، لأن الغرض من هذا الكلام هو ليس مجرد الإخبار بطلب العلم ، وإنما التأكيد على هذا الطلب وحث المخاطبين على السعي في تحصيله أينما كان ، وهذا ما لايتحقق إلا بملاحظة قوله (ولو بالصين)الذي يعد لذلك جزءا متمما للكلام الذي قبله .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن الدارسين القدماء يرون أن جملة الاختصاص يجوز أن تكون في محل نصب على الحال ، ويجوز أن تكون اعتراضية لامحل لها من الإعراب [٥٠] وهو الرأي الذي اختلف معهم فيه الدكتور فاضل السامرائي الذي ذهب إلى أن الأرجح في جملة الاختصاص أنها اعتراضية في كل الحالات والصور، لأنه يرى أنه ليس القصد مثلا من نحو قولك (نحن أيها الطلبة نريد حقوقنا) - التي يرى الدارسون القدامى أن جملة الاختصاص فيها في محل نصب على الحال - أنكم تريدون حقوقكم حال كونكم مخصوصين من بين الطلبة ، بل ذكرت أنكم تريدون حقوقكم وقد بينت من أنتم ، فلا فرق في المعنى بين هذا القول وبين نحو قولك (نحن الطلبة نريد حقوقنا) ، التي يرى الدارسون القدامى أن جملة الاختصاص فيها اعتراضية[٥١] .

ونحن نتفق تماما مع الدكتور فاضل السامرائي فيما ذهب إليه في هذه المسألة، لأن الوظيفة التي تؤديها جملة الاختصاص أو المعنى المراد منها ليس تحديد الهيئة والحالة وإنما هو توضيح الضمير المتقدم عليها ، والتوضيح يمثل إحدى الوظائف الأساسية للجملة الاعتراضية .

وما يهمنا التركيز عليه هنا لاتصاله الوثيق بموضوعنا أن الدارسين القدامى والمحدثين متفقون على أن جملة الاختصاص عندما تكون بـ (أيُّ) أو (أيَّةُ) مع تابعهما المرفوع رفعا شكليا يجوز فيها أن تقع في آخر الكلام[٥٢] ، فيصح في المثال المذكور سابقا أن يقال: نحن نريد حقوقنا أيها الطلبة، وهذا يمثل في رأينا دليلا قاطعا– يمكن أن يضاف إلى الأدلة السابقة – على صحة مجيء الجملة الاعتراضية في آخر الكلام .

وينبني على صحة مجيء الجملة الاعتراضية في آخر الكلام ضرورة إعادة النظر في ذلك التعريف الشائع بين الدارسين لهذه الجملة الذي ذكرناه في مستهل

هذا البحث ، والذي يحدد جملة الاعتراض بأنها الواقعة بين شيئين متلازمين أو متطالبين[٥٣] ، إذ أصبح واضحا الآن أن هذا التحديد أو القيد الموضوع على الجملة الاعتراضية لايصدق على كل الحالات والسياقات الاستعمالية التي ترد فيها هذه الجملة ، لذلك قد يكون من الأنسب حذف هذا القيد من تعريف هذه الجملة والاكتفاء بتعريفها على أساس المعنى أو الوظيفة الرئيسية التي تؤديها في الكلام ، ليجري تعريفها بذلك على أنها (الجملة التي ترد في أثناء الكلام أو في آخره للدلالة على التوكيد أو التوضيح أو التحسين أو...) ، فمثل هذا التعريف يعبر بشكل أدق عن مفهوم هذه الجملة ويصدق على كل استعمالاتها السياقية .

الخاتمة

يمكن تلخيص النتائج الأساسية التي تمخضت عن هذا البحث على النحو الآتي:

١. إن توسط الجملة الاعتراضية في الغالب بين شيئين متلازمين أو متصلين من حيث المعنى لايراد به إبراز هذه الجملة وجعلها موضع العناية والاهتمام ، لأن هذه الجملة لاتمثل غرضا مستقلا في نفسها ، وإنما تساق لتأكيد مضمون الكلام الذي تنتظم فيه والذي يمثل محط العناية والاهتمام.
٢. إن التداخل الحاصل بين الجملة الاعتراضية و الجملة الحالية في كثير من الأمثلة والنصوص اللغوية المتنوعة يمكن الفصل فيه غالبا باعتماد الوظيفة الأساسية التي تؤديها كل منهما عاملا رئيسا في التمييز بينهما ، إلى جانب الفروق الشكلية التي تراعى في هذا التمييز .
٣. إن التعريف الشائع للجملة الاعتراضية بأنها الجملة الواقعة بين شيئين متلازمين أو متطالبين تعريف غير دقيق ، لأنه لايصدق على الحالات و السياقات الاستعمالية التي ترد فيها هذه الجملة وهي في آخر الكلام أو دون أن تتوسط بين شيئين متلازمين ، ولذلك ينبغي إقامة تعريف هذه الجملة على أساس دلالتها الوظيفية الأساسية فقط ، التي تؤديها دون أن تتقيد بموقع شكلي محدد .

هوامش و إحالات البحث

١. مغني اللبيب ٥ / ٥٦ .
٢. حاشية الدسوقي على مغني اللبيب ٢ / ٤٠٦ .
٣. لخصائص ١ / ٣٣٦ .
٤. إعراب الجمل وأشباه الجمل ٦٤ ، ولاتخرج الكتب الحديثة في النحو في تعريفها للجملة الاعتراضية عن الإطار العام لهذا التعريف ، ينظر : جامع الدروس العربية ٣ / ٢٨٩ والتطبيق النحوي ٣٦٠ و الوافي في النحو والصرف ٤٥٣ و الجملة العربية تأليفها و أقسامها ٢١٦.
٥. الأمالي ٢ / ٦٨٩ .
٦. شعر الخوارج ٤٣ .
٧. ديوان زهير بن أبي سلمى ٢١.
٨. من نحو المباني إلى نحو المعاني ٥٣٠ .
٩. ينظر في هذه المواضع وأمثلتها كتاب مغني اللبيب ٥ / ٥٦ ومابعدها .
١٠. شرح شواهد خزانة الأدب ٦ / ١٨٣ .
١١. خزانة الأدب ٣ / ٢٥٨ .
١٢. ديوان النابغة الذبياني ٤٩ .
١٣. شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ٥ / ١٠٨ .
١٤. نفسه ٥ / ١٠٨ .
١٥. نفسه ٥ / ١٠٨ .
١٦. نفسه ٥ / ١٠٨ .
١٧. نفسه ٥ / ١٠٨ .
١٨. نفسه ٥ / ١٠٨ .
١٩. نفسه ٥ / ١٠٨ .
٢٠. نفسه ٥ / ١٠٨ .
٢١. يحصل التداخل بين الحال والاعتراض عند الدارسين القدماء في كثير من الأمثلة والنصوص ، وهو ماسنتطرق إليه لاحقا
٢٢. شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ٥ / ١٠٨ .
٢٣. سورة البقرة ، الآية ٣٣ .
٢٤. تفسير الكشاف ١ / ١٩٤ .
٢٥. سورة إبراهيم ، الآية ٩ .
٢٦. تفسير الكشاف ٢ / ٥٤٢ .
٢٧. سورة النجم ، الآية ٢٣ .
٢٨. ينظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ١١ / ٣١٢ . (يحيل الشيخ عبدالخالق عضيمه في ذكره لهذا الرأي على تفسير أو

كتاب يحمل عنوان (الجمل) لم يذكر اسم مؤلفه أو المعلومات التي تعين على الاهتداء إليه !).

٢٩. تفسير البحر المحيط ١ / ٥٧٧ – ٥٧٨ .
٣٠. نفسه ٥ / ٥٢٢ .
٣١. مغني اللبيب ٥ / ١٠٤ .
٣٢. نفسه / ٥ / ١٠٤ – ١٠٥ .
٣٣. حاشية الدسوقي على مغني اللبيب ٢ / ٤٣٤ ، وينظر : حاشية الشيخ محمد الأمير على مغني اللبيب ٢ / ٥٦ و الإيضاح في علوم البلاغة ١ / ٢٠٦.
٣٤. إعراب الجمل وأشياه الجمل ٦٨ .
٣٥. نفسه ٦٨ .
٣٦. نفسه ٦٩ .
٣٧. ينظر حاشية الأمير على مغني اللبيب ٢ / ٥٤ وإعراب الجمل وأشباه الجمل ٧٣ .
٣٨. ينظر : الإنصاف في مسائل الخلاف ١ / ٢١١ والأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ١٩٧ .
٣٩. ينظر : مغني اللبيب ٥ / ٩١ .
٤٠. نفسه ٥ / ٩١ وما بعدها ، وينظر : إعراب الجمل وأشباه الجمل ٦٩ ومابعدها ، و من نحو المباني إلى نحو المعاني ٥٧١ .
٤١. ينظر : إعراب الجمل وأشباه الجمل ٧٠ .
٤٢. ينظر : نفسه ١٧٨ ومن نحو المباني إلى نحو المعاني ٥٠٧ .
٤٣. سورة النساء ، الأية ٧٨ .
٤٤. سورة الأنفال ، الاية ٨ .
٤٥. سورة التوبة ، الاية ٣٢ .
٤٦. سورة يوسف ، الاية ١٧ .
٤٧. ينظر : إعراب القرأن الكريم وبيانه ٢ / ٦٧ ، ٣ / ٢٠٩ .
٤٨. ينظر : ص (   ) من هذا البحث .
٤٩. ينظر : إعراب الجمل وأشباه الجمل ٣٦ – ٣٧ .
٥٠. ينظر شرح التصريح على التوضيح ٢ / ١٩٠ – ١٩١ وحاشية الصبان ٣ / ٢٩٠ – ٢٩١ و حاشية الخضري ٢ / ١٣٧ .
٥١. معاني النحو ٢ / ٥٤٣ .
٥٢. ينظر شرح التصريح على التوضيح ٢ / ١٩١ و النحو الوافي ٤ / ١٢٢ .
٥٣. ينظر : ص (٣) من هذا البحث

المصادر

١. القرآن الكريم .
٢. الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، للدكتور تمام حسان – عالم الكتب ، مصر ٢٠٠٤م .
٣. إعراب الجمل وأشباه الجمل ، للدكتور فخرالدين قباوة – ط (٣) ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٨١ م .
٤. إعراب القران الكريم وبيانه ، لمحي الدين الدرويش – ط (٩) ، دار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ٢٠٠٣م .
٥. الأمالي ، لأبي على القالي (٣٥٦هـ)- دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٤ .
٦. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين ، لأبي البركات الأنباري (٥٧٧هـ) تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد – دار الطلائع ، مصر ٢٠٠٥ م .
٧. الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني (٧٣٩ هـ) – مصر ، بلا تاريخ .
٨. التطبيق النحوي ، للدكتور عبده الراجحي – ط (١) ، دار المسيرة ، الأردن ٢٠٠٨ م .
٩. تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان النحوي (٧٤٥ هـ) – دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، بلا تاريخ .
١٠. تفسير الكشاف ، للزمشخري (٥٣٨ هـ) – مصر ، بلا تاريخ .
١١. جامع الدروس العربية ، للشيخ مصطفى الغلاييني ، - ط (١١) ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ٢٠٠٧ م .
١٢. الجملة العربية تأليفها و أقسامها ، للدكتور فاضل السامرائي – منشورات المجمع العلمي العراقي ١٩٩٨ م .
١٣. حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ، للخضري (١٢٨٧ هـ) – دار الفكر ، لبنان ١٩٩٥ م .
١٤. حاشية الدسوقي على مغني اللبيب ، للدسوقي (١٢٣٠ هـ) – ط (٢) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٧ م .
١٥. حاشية الشيخ محمد الأمير (بهامش مغني اللبيب) – دار الفكر ، لبنان بلا تاريخ .
١٦. حاشية الصبان على شرح الأشموني ، للصبان (١٢٠٦ هـ) – ط (١) ، المكتبة العصرية ، لبنان ٢٠٠٤م .
١٧. الخصائص ، لابن جني (٣٩٣ هـ) – تحقيق : محمد على النجار – الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ١٩٩٩ م .
١٨. خزانة الأدب ، للبغدادي – تحقيق : عبدالسلام هارون – القاهرة ١٩٦٨ م.
١٩. دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، لمحمد عبدالخالق عضيمة ، دار الحديث ، القاهرة ٢٠٠٤ م .
٢٠. ديوان زهير بن أبي سلمى ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٨م.
٢١. ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق : الدكتور شكري فيصل – دار الفكر ، بيروت ١٩٦٨م.
٢٢. شرح التصريح على التوضيح ، للشيخ خالد الأزهري (٩٠١ هـ) – دار الفكر ، لبنان ، بلاتاريخ .
٢٣. شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ، لرضي الدين الإستراباذي (٦٨ هـ)– تحقيق : الدكتور عبدالعال سالم مكرم – ط (١) ، علم الكتب ، مصر ٢٠٠٠ م .
٢٤. شعر الخوارج ، دار الفكر ، بيروت ، بلا تاريخ .

٢٥. معاني النحو ، للدكتور فاضل السامرائي – مطبعة التعليم العالي في الموصل ، العراق ١٩٨٩ م .
٢٦. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام الأنصاري (٧٦١ هـ) – تحقيق وشرح : الدكتور عبدالطيف محمد الخطيب – ط (١) ، الكويت ٢٠٠٠م .
٢٧. من نحو المباني إلى نحو المعاني ، للدكتور محمد طاهر الحمصي – ط (١)، دار سعدالدين ، دمشق ٢٠٠٣ م .
٢٨. النحو الوافي ، لعباس حسن ، دار المعارف ، مصر ، بلاتاريخ .
٢٩. الوافي في النحو والصرف ، للدكتور حبيب مغنية – دار ومكتبة الهلال ، ط (٢) ، بيروت ٢٠٠٤ م .
٣٠. مسند البزار ، لأبي بكر البزار (٢٩٢هـ)- تحقيق : الدكتور محفوظ الرحمن زين الله – ط(١) ، مؤسسة علوم القران ، بيروت ١٤٠٩هـ .

Sentence in Arabic interceptor between
The site and the functional significance
Department of Arabic Language

Researcher : Abdul-khaliq Wale Fattah
(Assist Lecturer)
Koya University / Faculty of Humanities and Education

Vary sentences is Arabic, according to semantic functions performed by the multi-structure in language that is organized by, and types wholesale Alatardip), And is a sentence which in most cases function emphasis or clarification, and popularized it learners should be to mediate between the two parts Almtlaimn or related in meaning, And interested in this research to discuss this view and takes care of the ray is common to understand the sentence, traverse to show the shortcomings and weaknesses, drawing on highlighting some of the opinions scattered in the books of the ancients that have not received what it deserves the attention or interest and dependent also on the examples and text linguistic variety which prove that sentence interceptor may be contained in this site is credited.